

التمثيلات النمطية لصورة المرأة في الخطاب الروائي الجزائري نحو مساءلة

سوسيولوجية

The Typical Implications of the Woman's Image in The Contemporary Algerian Novel, A Sociological Question

د. سمراء جبالي. جامعة باتنة 1

samra.djebaili@univ-batna.dz

تاريخ الارسال: 2022-02-16 تاريخ القبول: 2022-02-27 تاريخ النشر: 2022-03-20

Abstract

ملخص

This study aims to research in all various types of typical representations of women, related to their social or intellectual life and affect in one way or another the movement of their progress negatively and positively. Highlighting the shape and image of this progress, we also seek to identify women's models through narrative works in according with the levels of women's awareness, and the diversity of their affiliations and apparent positions when we find the Algerian narrative texts reflect the stories of the world of women in certain aspects through which the female-self is formed in its ontological dimension. Therefore, through the analysis we present in our study, we will reveal all the images and speeches created by the writer «TAHER WETTAR» in his text «ORS BAGHL» through his imagination.

Keywords: woman, narrative discourse, image, representation

تروم هذه الدراسة البحث في جل التمثيلات النمطية للمرأة سواء المتعلق بحياتها الاجتماعية، أو الفكرية بخاصة تلك التي تؤثر في حركة تقدمها سلبا أو إيجابا. مبرزين في ذلك أشكال هذا التقدم وصوره، كما نسعى إلى تحديد نماذج المرأة من خلال الأعمال الروائية، تبعا لتفاوت مستويات وعي المرأة، وتعدد انتماءاتها، واستجلاء مواقفها، حيث نجد النصوص الروائية الجزائرية تجسد حكايات عالم المرأة الممثلة في جوانب يتم فيها وبمقتضاها تكوين الذات الأنثوية ببعدها الأنطولوجي، ومن خلال الحلقات التحليلية التي نقوم بعرضها في هذه الدراسة سنحاول الكشف عن كل الصور والخطابات التي تم إنشاؤها في مخيلة الكاتب "الطاهر وطار" في نصه الموسوم "عرس بغل".
الكلمات المفتاحية: المرأة، الخطاب الروائي، صورة، التمثيل.

مقدمة:

تمثل المرأة كيان كل أمة بل وكل حضارة، وقد تفاوتت الأمم في درجة معاملتها في شتى عصور التاريخ، وفي تجاهلهم لها، وإذا أردنا الاستدلال على ذلك لا نبتعد عن العصر الجاهلي، حيث كانوا يؤدون البنات خشية العار، لقوله تعالى: "وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (59)". (سورة النحل) هذه المرجعية الدينية السلبية هي بمثابة إقصاء لوجود المرأة إنزالها منزلة دونية.

تعززت مكانة المرأة بمجيء الإسلام وأضحى وأد البنات محرم لقوله تعالى: "وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (9)" (سورة التكوين) وبها كسرت القيود وأزاحت الفوارق التي تقوم بين الرجل والمرأة، قال عز وجل: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13) (سورة الحجرات)". مع الإسلام أصبح للمرأة حقوق، وقدرة على إثبات ذاتها كعضو فعال له حضوره الرائد. به وجدت لنفسها كيانا وفكرا يجعلها مكملة للرجل.

تتجلى المرأة في الديانة المسيحية، بصورة المرأة المقصية المهمشة، حيث فرض عليها الحصار فكريا وجسديا، لتبقى حبيسة إحساسها بالضعف، والإثم، والذنب، لأن الله سبحانه وتعالى حرم على أدام الأكل من الشجرة التي عرفت بـ "الشجرة المحرمة / المعرفة (الخير/ الشر) وتحذيره له، وجعل حواء رفيقا وشريكا له بالجنة، إلا أن أدام خالف الأمر وأكل من الشجرة، ولعظم الأدلة القدسية يخرج بجرم المرأة، ويلزمها وحدها دون أدام مسؤولية هذا الشقاء الذي تعقبه الموت.

يكتسي موضوع المرأة أهمية بالغة كونه يعالج إشكالية مطروحة طالما تحدثت عنها، الشريعة الإسلامية، كما استحوذت القلوب، والعقول، بكونها الأم، الأخت، الزوجة، كما طغى حضورها في الساحة الأدبية في الشعر تنوء القصائد بوصف النساء، وتعتمد لوحات الرسامين علمين. كما أنها احتلت مكانة ونصيبا أوفر في الرواية، فكانت مضامين النصوص

تمتاز بالجرأة في الطرح، أو ما يسمى الصورة المثلى كما يتخيلها الروائي مثل ما سلكه الروائي "الطاهر وطار" في روايته "عرس بغل" الذي مثل فيه نموذج للمرأة بتمثيلات مختلفة.

1- المرأة في المخيال الأدبي الجزائري

كانت المرأة في بداياتها تصارع ضعفها وخوفها، وإن بدت عنيدة متحدية من خلال ما تعبر عنه من مواقف رفض، تمرد، ثورة على السائد من الأوضاع ضد الاستعمار الذي جعلها مهمشة بفعل العادات والتقاليد، و"السلطة البطريكية"، أو ما يسمى بالنظام الأبوي الذي يتميز بسلطة الأب" (القريشي، 2008، صفحة 64) آنذاك، فرضت عليها قيود وأعراف وضغوط، مما سبب لها شعور بالعجز وشلل فكري في سبيل نحت كيان مستقل، وتحقيق الوجود، ومقاومة مظاهر التخلف من ضمنها تخلف الرجل (بوشوشة، 2003، صفحة 48). الذي اختزل حياتها في كونها آلة للإنجاب والتربية والغسيل والطبخ.

يضاف إلى هذا ما كان يمارسه المستعمر من أشكال القهر، وألوان التعسف من خلال ما يقوم به من نهب، وسلب لخيرات البلاد، وكل البؤس لأهالي القرى والمدن من قسوة وجور، وتنكيل وبخاصة المناضلين منهم، وهذا ما يفسره موقف عداء المرأة له، وانضمامها لصفوف المقاومة للتخلص منه والقيام بأدوار مساندة لنضال الرجل. (أديب بامية، 1982، صفحة 210) فقد عملت المرأة على تخبئة المناضلين، وتوزيع المناشير التي كانوا يكتبونها، وجمع التبرعات وغيرها من الأمور النضالية، وهي أدوار جسدت الكثير من الروايات.

ظهرت مع رواية "غادة أم القرى" للكاتب الروائي "رضا حوحو" إمكانية تجسيد صورة المرأة المغلوب على أمرها يقول: «إلى التي تعيش محرومة من نعمة الحب، من نعمة العلم، من نعمة الحرية... إلى المرأة الجزائرية أقدم هذه القصة تعزية وسلوى" (رضا حوحو، 1988، صفحة 5) تحضر شخصية المرأة هنا ممثلة في شخص "زكية" البطلة، وأم جميل التي تقطعت بها السبل، فضعت حيلها، ولم تجد مخرجا لإنقاذ ابنها من غياهب السجن، إن قصة الحب التي نشأت بين "زكية وجميل"، لكن عادات وتقاليد المجتمع تمنع ذلك الحب فلا يكمل بالزواج، كما لو شاية "سعد" طرف لأنه كان يبغى تزويجها لابنه، لاعتبارات مادية هو

صاحب الجاه والمال، ينتهي الصراع بموت "زكية" «أثر عصبية عنيفة، وموت "جميل" جزعا في سجنه.

يصور لنا "الطالب المنكوب" للروائي الأديب "عبد المجيد الشافعي"، مثالا للمرأة الحبيبة مجسدة في البنت "لطيفة" التي يقع في شباكها "عبد اللطيف"، أين تنتهي قصتهما بالزواج بعد صراع ومعاناة. (بوديبة، 2007، صفحة 31) هي نهاية حتمية لعلاقة حب بسيطة ونمطية خالية من العقد والأحداث.

أما روايات (محمد ديب) فلا تخلو من تمثيلات نمطية للدور المرأة من أم، حبيبة، زوجة، أرملة،...بدأ من رواية الدار الكبير، الخريق من يذكر البحر لكل رواية تمثيل لحال المرأة بطريقة خاصة.

كما لا تخلو رواية "نجمة" للكاتب (كاتب ياسين) من رسم للمرأة الأم "تعمل ليلا ونهارا من أجل إعالة ابنها والبنت محاولة توفير لقمة العيش، فهي تنام على الأرض، تحلم في الخروج مع زوجها، وتجمع المال من أجل كبش العيد، ولم يكن لها سوى فستان واحد من القطن، لم تكن تنزعه إلا لتصنع منه خرقة تنظف بها أرضية المنزل" (كاتب، 1987، صفحة 223). هي حال الأم التي يتقطع قلبها على فلذة كبدها فرحات وعيسى وشجارهم الدائم، ولخوفها عليهما كانت تجمع قطع القرميد التي تعثر عليهما وتخفيها في ثوبها.

أيضا يمثل المرأة الأسطورة كرمز، يرمز للجزائر، فهي الكاهنة، ويسري في عروقها دم بني هلال رمز العزة، والأرض الغاضبة (كاتب، 1987، صفحة 48)، التي يموت منها ولها شباب الجزائر الحانقة. هي قصة الدم، وقد ثار أريق وتألقت نجما، فكانت نجمة هي المرأة الجميلة والبطلة الرائعة، التي ترمز للثورة الجزائرية المجيدة، وتمسح عليها آلامها وأحزانها، "نجمة" بطلة الرواية هي مثال للجزائر الجميلة التي تدور حولها قصص الحب، هي أسطورة الجزائر. وأحيطت طفولة البطلة "نجمة" بالغموض فهي تعيش حالة من الضياع حين تقول: "فرنسية أم يهودية" (كاتب، 1987، صفحة 108) هو سؤال نجمة وسؤال كل جزائري عقب الاحتلال الفرنسي للجزائر حول وجود أمة جزائرية مستقلة. ويواصل الراوي قوله: "حملتها أمها في ظروف غامضة وتبنتها أسرة" (كاتب، 1987، صفحة 105)، وكذا الجزائر تعرضت

للاغتصاب من أجنب، ولم يسمح لأبنائها إعلان انتسابهم إلى وطنهم الجزائر أو حمل علمهم، نفس الأمر "سي مختار" والد "نجمة" الحقيقي كان ممنوع من مناداة ابنته بابنتي أو سماع كلمة أبي منها، فنجمة تسكن بعيدا بمكان أشبه بالسجن به حصار، فلا يرى نجمة إلا وهي متنقلة بين عنابة وقسنطينة، بحثا عن البلد الضائع، وهي دلالة على كفاح المرأة الجزائرية. تصور لنا (زهور وأنيسي) في رواية "الونجة والغول" دور المرأة آنذاك كحكاية مليكة وبهجة وفاطمة، مبرزة دورهن الفعال إبان الثورة والواجب الوطني. (بن مسعود، 2006، صفحة 21)

كما أثارَت قضية المرأة عند (زهور وأنيسي) مسألة مهمة تكتبها في مقالها "من الملووم؟" تقول: "آه هذا هو جزاء تربيته لك أهذه هي طاعة الوالدين، كيف يصدر منك هذا يا بنت؟" (ونيسي، من الملووم؟، 1955، صفحة 53)، هو سؤال الذات من تكون هذه الذات المتمثلة في البنت العاقبة المتعجرفة الخارج عن نظام الأسرة، لتكمل سرد حال البنات في روايتها "على الشاطئ الآخر" قصة الثوب الأبيض، للبنت "زهية" التي منعت من مواصلة الدراسة بقوة السلطة الأبوية، وتزويجها، رغم محاولاتها بالفرض إلا أنها خنعت للواقع المظلم تقول الروائية على لسان أحد شخصياتها "أم زهية": "هيا يا عزيزتي الوقت راح، ونهار الشتاء قصير، لا بد أن يتم شراء القماش الأبيض الآن الخياطة تنتظر" (ونيسي، على الشاطئ الآخر، 1988، صفحة 58). تقع زهية كالحمل الوديع تستعد لشراء الثوب الأبيض الذي لا فرق بينه وبين الكفن.

كما تبين لنا الكاتبة (أحلام مستغانمي) دلالة أخرى للمرأة وتخرجها من كونها جسدا إلى رمز للمدينة وعنصر إيحائيا يمثل ذاته بقدر ما يمثل المرموز له. يربط "خالد" أحد أهم الشخصيات الروائية في "ذاكرة الجسد" بين البطلة "حياة" التي التقى بها في عربته وبين المدينة التي غادرها مكرها -قسنطينة-، ويعقد شهما بينهما فتلبس حياة تلك المدينة وتتوحد معها، كما للمكان صفات أسقطت على ساكنيه وأكسبهم طبائعه، تقول الكاتبة على لسان أحد شخصياتها خالد: " وقررت في سري أن أحولك إلى مدينة شاهقة شامخة عريضة..."

عميقة لن يطلها الأرقام... حكمت عليك أن تكوني قسنطينة وما كنت احكم على نفسي بالجنون" (مستغاني، 1993، صفحة 119).

بما أن الرمز هو الإيحاء يكون الشبه الذي ارتأى "خالد" بين "حياة" ومدينتها - قسنطينة-، ما دفعه لإقامة الرمز والإيحاء كونها امرأة متناقضة في طباعها، متطرفة في عواطفها تماما كقسنطينة، فهي تمثل بملامح وجهها استدارة جسدها تضاريس تلك المدينة ومعالمها.

إضافة لهذه الأسماء الأدبية، نذكر الكاتب الروائي (الطاهر وطار) الذي يعتبر أحد أبرز الأدباء الجزائريين على الساحة الأدبية الجزائرية، حيث أنتج من الروايات ما يتماشى مع الوضع الوطني، وتعد روايته "عرس بغل" واحدة من أهم الروايات التي تنبأ فيها بواقع الجزائر، فهي نالت اهتمام العديد من القراء والنقاد نتيجة ابتعادها عن الموضوعات السائدة، عن التسييس والأدلجة التي ميزت أعماله الأخرى، أول ما نصطدم به كقراء للرواية -عرس بغل-، (وطار، 1982) هو غلافها الخارجي بعنوانها الذي نستهدي به من عتبة النص إلى نهايته، ثم نعرج إلى الإهداء الذي تتوهج بين ثناياه المقتضية إشارة حادة لمناخ الرواية، وندلف مباشرة لمجتزئات الرواية التي توزعت إلى ستة وعشرين قطعة، تمثل توليفها خيطا دقيقا لوحدة النص.

سنقف ضمن هذا النص الروائي -عرس بغل- على حكايا المرأة في الخطاب الروائي الجزائري ونتساءل حول الصور النمطية الثابتة والمتغيرة، حول مركزية الروح الأنثوية مقابل مركزية الروح الذكورية، لكشف ما يرمي له الكاتب في نصه هذا، وكذا استجلاء النظرة الاستثنائية له لذات المرأة وتبيان الكثير من التمثيلات المتداخلة والمتناقضة التي صاحبت المرأة في المجتمع العربي بعامة والجزائري بخاصة.

2- قدسية المرأة / الأم:

تمنح القدسية قيمة جديدة للمرأة، وتمثلها تمثيلا ذاتيا يحفزها على تعزيز مكانتها داخل مجتمع تحكمه سلطة ذكورية، لحظة تصبح الأنثى أمًا يعني إعادة بناء منعطفًا آخرًا لوجودها، وشكلا للاحترام والطاعة التي هي من مظاهر الحب والتقديس لهذه الأم، تبقى

الأمومة حلم كل امرأة كما تقول "العنابية" بطلة الرواية لـ "حياة النفوس" أحد الشخصيات النسائية في الرواية: "لا أحبك لأنك أجملهن صحيح أنك تحبين أكثر لأنك جميلة أكثر لكن أحبك كابنتي، أحبك كنفسي" (وطار، 1982، صفحة 80) "العنابية تتمنى لو أنها تزوجت، ورزقت بابن / بنت" وتمنت لو أن حياة ابنتها.

ويعود كل هذا للوضع الاجتماعي السائد في الجزائر، المرأة لا مكانة لها، وتعطى قيمتها إلا بكونها أماً، تلغى كينونتها وتسترجع بعد الزواج والإنجاب، هذا ما تقره تقاليد المجتمع، والأمومة فقط تمنحها هذه القوة والجبروت، وتمكنها من التغلب على هذه القوانين الجائرة التي سجنها وأذلها، فـ "العنابية" كانت تصبو للأمومة رغم تجاوزها سن الأربعين لتكون والدة لهذا الفحل -الرجل- تقول: "أنا اجتزت الأربعين في سن أمك" (وطار، 1982، صفحة 80) تعاني "العنابية" الوحدة والحرمان العاطفي وكذا الأمومة، والخوف من مستقبل مظلم ومصير مجهول، فهي تتمنى أن تصير سحابة تمطر فتسقي الأرض، وتتخذ من شخصية الرجل "خاتم الهزية" العشيق والابن في آن واحد لتعوض ذلك الحرمان، إمّا تقيم عرساً يتم به اختتان أربعين طفلاً، أو تتبنى ابنة.

وتتجلى لنا أيضاً في رواية قدسية الأم التي تعمل ليل نهار لإعالة أبنائها في هيئة مخلوق لا يعرف الراحة هي شخصية "أم حياة النفوس" (وطار، 1982، صفحة 79)، هي مثال للأم التي تكافح لأجل لقمة العيش لابنها المشلول.

3- المرأة الزوجة / الخاضعة المضطهدة ولعبة الجسد

يعترينا شيء من الخشية ونحن نتحدث عن تمثيلات المرأة في خانة الزوجة هي مسألة انتهاك حقوقها وقهر أنوثتها بعد الزواج، على الرغم من أن العلاقة الزوجية أساسها المودة والرحمة وتحكمها الإنسانية، لكن في نص "عرس بغل" نلمح خنوع المرأة لسلطة الرجل، واستسلامها كباقي النساء الجزائريات للعادات والتقاليد، زواج غير متكافئ عائلة كبيرة، أعمال منزلية شاقة. للزوج حق طمس حقوقها، واستعبادها وإذلالها والزواج مرة ثانية، وثالثة، ورابعة دون وجه حق، فقط لإرضاء نزواته، في المقابل ممنوع على الزوجة الاعتراض،

فالنساء-الزوجة- أشبهه بقطع الشطرنج، ولتحمي المرأة أسرتها وذاتها من هذا التعسف. عليها اللجوء للسحر والشعوذة بحجة حماية زواجها.

وهي بهذا ترى أنها تحمي كيانها ومكانتها، إلا أنها تزيد من ضعفها وذلتها وتظهر للمجتمع بعمامة ولأسرتها بخاصة أنها بلا وعي بلا فكر لا يمكن لها الخروج من تحت عباءة الرجل ولا العيش بدون تقبيل يد زوجها كرد فعل على طاعة والامتثال. والكاتب هنا يبين لنا كيف للنساء العيش تحت ظل هذا النظام الجائر، يذكر في الرواية أحد أهم شروط الزواج الناجح بالمجتمع الجزائري " اسكني الأعوام الأولى في الريف، تعلني حلب الأبقار الأغنام، ومخض اللبن، واستخراج الزبدة، وغزل الصوف، وقتل الكسكسي، وأنجي طفلا أو اثنين...". (وطار، 1982، صفحة 76)

لكن رغم كل هذا نجد الأسوأ منه "أم حياة النفوس" الزوجة الخائفة من هجران زوجها لها، وللحفاظ على بيت الزوجية المزيف بأي شكل، وبنوع من الأنانية والقسوة على ابنتها، تتعري من إنسانيتها ومن كل صفات الأمومة، حين تتطلب من ابنتها "حياة النفوس" النوم مع زوجها في الفراش، خوفا من الهجران تقول: "إما أن تفعلني، وإما أن يهجرنا". (وطار، 1982، صفحة 79) المرأة هنا تبحث عن الطمأنينة والسكينة للزوج على حساب كرامتها وكبريائها، الزوج بالنسبة لها هو الوطن، الهوية وبدونه لا وطن لا هوية. بينما تعيش "العنابية" دور الزوجة في خيالها، حيث لهذا الزوج القابع في المخيال يحس بروحها حوله، بعيدة كانت، ويفرح لفرحها ويناصر قولها، ويرفع مكانتها واحتراما وإجلالا لا حدود لهما.

أحاطت العزلة المرأة الجزائرية في فترات مختلفة مما خلق لديها شعورا قويا بالخوف، والقلق، والحيرة إزاء الزوج، فالترحال اليومي للزوج أزم من وضعها، نتيجة تركها لزحمة المصير المنقلب، والعيش في دوامة الشك حول العودة/ الالعودة، وأصبحت تأخذ المرأة من هذا إما بابا للبكاء والدراما، أو طريقا للانحراف والعمل في الماخور بسبب إهمال الزوج لهن فتجد نفسها في مثل هذه الدور المنظمة التي تفتح تحت إشراف الدولة التي تدعي العفة، يقول "الحاج كيان" أحد الشخصيات الأساسية الذكورية في الرواية: "لم أفهم طبيعة

التناقض الصارخ في حين يغلق مجتمعنا على امرأة الإغلاق التام، ويعتبر الاختلاط حراما يسمح بأن تكون هناك مثل هذه المؤسسات". (وطار، 1982، صفحة 31)

ويقصد بهذا الماخور وما يحمله من الفسق، فالزوجة رغم حبها لزوجها واحترامها له يخونها، كما يفعل الحاج كيان، والمرأة الزوجة مثال فقط...

أبرز الرهانات التي تسعى المرأة الوصول لها قلب الرجل بسحر كلماتها وسلطة جمالها، وكثيرا ما تحطم كبرياء الرجل، وعلاقة الذكر بالأنثى علاقة قديمة، هي بالنسبة لها مجال تمارس فيه -المرأة- تمردها ورغباتها المقموعة وأنوئتها المخفية، لكن الروائيين الجزائريين قلما يتناول موضوع الحب باستفاضة وعمق، مع أن للإنسان له قول الكثير، والمجتمع الجزائري المحافظ التقليدي له موقفه، فكل من الدين والتقاليد لا تبيح المناقشة الصريحة للحب والحب خارج المشروع الديني حتى لو كان في الأعمال الأدبية (بوشوشة، 2003، الصفحات 77-78).

أبرز لنا الروائي (الطاهر وطار) في نصه الموسوم "عرس بغل" مثال أقرب للواقع خاصة في المجتمع الجزائري للمرأة الحبيبة، ولا سيما في الريف وكيف للمرأة تقع فريسة الأهواء، فحب "العنابية" لـ "خاتم الهزية" وحب هذا الأخير لـ "حياة النفوس" في وقت لا مكان للحب والعلاقات بسبب الظروف آنذاك يقول:

" - ماذا قلت يا حياة الحلوى؟

- إلى أين يا روح عيني؟ إلى دارك يا عزيزتي

- ويقول... نزلت تتثنى بقامتها الفارغة الرشيقة، البيضاء المحمرة، وشعرها المتسدل على صدرها". (وطار، 1982، صفحة 115) حياة النفوس الحبيبة التي سعى لها الجميع بها رغم رفضها للكل.

يلجأ جل الكتاب الروائيين الجزائريين بعامه و"الطاهر وطار" بخاصة للاحتكام بالمظهر، وعن أحقيته لقياس جاذبية الشخصية، وما يؤهلها كبؤرة للإغراء والوقوف على طبيعة السلطة التي تمارسها "حياة النفوس" الجميلة فيقول: "برزت فتاة تلتحف ثوبا ورديا، من خلف الضباب، كانت رائعة الجمال... ثم تبسمت، تلاشى ثوبها بانث كتمثال

من المرمز". (وطار، 1982، صفحة 7) فهو يهتم بإبراز الجانب المظهري في تقسيمه لنموذج الحبيبة الجذابة بحيث يبرز في المقام الأول ملامح الجمال الأسر للهوى، والتناسق التام في رسم جسدها.

إنّ الاهتمام منصب على المظهر الخارجي كمصدر للانجذاب للحبيبة، ووصف جمالها كنقطة إغراء لا يمكن تجاوزه، لا الباطني، وعليه فالجمال الظاهر هو الأسر للقلب بغض النظر عما تملكه من ذكاء ووعي هي بالنسبة لهم أمور ثانوية، أما الجسد هو عنوان الأنوثة الطاغية.

4- المرأة البنت فسيفساء الجمال / فريسة الأهواء:

يوضح العديد من الروائيين أن للفتاة مكانة خاصة في العائلة وتأثيرها فيهم، وجسد لنا الروائي وطار ذلك في نصه ممثلا في حكاية "حياة النفوس" البنت التي منعتها والدتها من الحياة في كنف أسرة ملؤها الحنان، والعطف، وهي في ربيع عمرها، بنت تحلم أحلاما جميلة بريئة (التعليم، المكانة المرموقة...) لكن تصطدم بحقيقة تجعل منها امرأة ضعيفة، وهي أن الأم رمز القوة والأمان تطلب منها مضاجعة زوجها خوفا من هجره لها، شاءت أم أبت ذلك، ويسرد لنا ذلك في حوار بين الأم وابنتها تقول:

" - إما أن تفعلي، وإما أن يهجرنا

- .. ليهجرنا ولتلحقه اللعنة

- يا أمي فكري فيما تقوليه

- فكرت جيدا يا ابنتي. نامي... هيا هيا ادخلي إلى الفراش قبل أن يأتي..". (وطار، 1982، صفحة 79).

بدل أن تمثل البنت الحياة، البهجة، الأنس أصبحت عبء وجب التخلص منه، ويفرض عليها الزواج في سن مبكرة، وتحرم من مزاوله الدراسة حسب السلطة الأبوية، لأن البنت خلقت لتكون زوجة وأم لتربية الأولاد، هذا وفي حالة التفاوت الطبقي نجد نساء تبين أنفسهن في الماخور لتكون راقصة، ومغنية، محبة للمال، أما البنت "حياة النفوس" الجميلة التي يتهافت حولها جل رجال الماخور، لقوة جاذبيتها ورقصها المميز. ترفض الزواج.

تصبح المرأة / البنات العاهرة من خلال الرواية ضحية / خاضعة ذليلة بدل رؤيتها متمردة رافضة لقيم المجتمع، الذي يبعث بالإناث للعمل في الماخور من أجل إشباع الرغبات الفحولة، وجمع المال من منطلق أنه دلالة على التحرر غير أنه دلالة على الذل والهوان، حالة بؤس ودمار وعجز للفتاة حين تكون الأم قاسية ترمي بها للعهر وللحياة البائسة لتفقد ذاتها وقيمتها الإنسانية، وتقع فريسة لوحوش بشرية عديمة الضمير.

5- المرأة الرمز/وعي اجتماعي:

يمكن أن نلمس المرأة الرمز في نص "وطار" ممثلاً في رمز المدينة التي صارت الزمن واحتفظت بحضارتها وصورتها، ونجد العنابية رمزا لصورة الحكم، لقوة شخصيتها وشخصيات أخرى لها مركزها وأهمية متفاوتة، هن رمز للشعب ك(علجية، حياة النفوس، الوهرانية) صارعن الحياة حين جار الزمن عليهن وحال دون عيشهن في هناء، كذا الشعب الجزائري عاش الذل والمهانة بسبب المستعمر.

كما مثلت لنا في صورة المرأة كرمز للوعي الاجتماعي الذي هو بديل للتجربة الإنسانية ولكن حالت ضرورته، بل حتمية يفرضها في الأساس ظرف مادي معين، بكل ما يمكن أن يحمله هذا الظرف من تناقضات، إذ لا يمكن فصل الوعي الاجتماعي عن الوجود الاجتماعي. ويعرف ماركس الوعي الاجتماعي بأنه مجموع الأفكار والنظريات والآراء والمشاعر الاجتماعية والعادات والتقاليد التي توجد لدى الناس، والتي تعكس واقعهم الموضوعي. وبما أن الوجود الاجتماعي للناس يتصف بالتعقيد والتنوع، فإن الوعي الاجتماعي يتصف أيضاً بالتعقيد والتنوع. ويدل استعراض التاريخ الاجتماعي أنه مع تغير الوجود الاجتماعي للناس يتغير أيضاً وعميم الاجتماعي... فالوعي ليس في علاقة سلبية مع الوجود ولكن الوعي يؤثر تأثيراً إيجابياً على الوجود الاجتماعي (فرغلي، 2015). وعليه فالوعي الاجتماعي مرتبط بالمفاهيم السائدة في المجتمع، بتفاعل أفراد. وهذا النوع من الوعي هو أنواع منه الفردي، الجماعي. تمثل "علجية" صورة التراث في الغناء الفلكلوري، والتي ساهمت في محورة رؤية الكاتب، وعليه يكون وطار من الذين استرجعوا وميض الماضي الشعبي، مقدما في شخص علجية في مجموعة من الأغاني التي ألقتها وحياة النفوس في الرقص الشعبي، قال: "رفعت

علجية صوتها طهرها المطهر صحة لا يديك لا تجرح وليدي لا نغضب عليك، وحياة النفوس راحت تهز الأرض بإحدى رجلها وتزأر—أرواح أرواح كي نشوفك نرتاح ويتغير حالي- " (وطار، 1982، صفحة 89)

وبالتالي أصبح نص "عرس بغل" صورة مثالية حية يرمز إليها بامرأة شابة جميلة، وهي ترمز إلى أدب

الوطن والوطنية، الذي يبقى مثالا حيا، رغم تعاقب المحتلين والأجانب.

6- المرأة الجسد الشهواني:

عاشت المرأة العربية بعامة والجزائرية بخاصة أقسى حالات القهر النفسي، والاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي، لكن رغم ذلك استطاعت أن تصمد بثبات وعزيمة وتحافظ على شرفها وعفتها على الوقوع في برائين الإثم والرذيلة، لكن هذا لا يمنع من وجود بعض المنحرفات المنغمسات في بحر الرذيلة تحت وطأة الظروف الاجتماعية، والاقتصادية، والأسرية، والنفسية، وهذا ما نتعرض له في نصنا هذا عرس بغل.

✓ العنابية: من الشخصيات المهمة في "عرس بغل"، إذ تميظ الرواية اللثام عن هذه الشخصية وسيرتها بالحياة، وظروف نشأتها ومعاناتها في شتى ضروب الحرمان والذل، مما دفعها إلى البغي بداية، لتلبية الشهوات، ومن ثم انغمست في مستنقع الإثم والرذيلة. حين لم تجد إلا بيع جسدها لتلبية لضرورات الحياة اليومية، والحاجة الملحة للحب والحنان والعطف.

تملاً حياتها -العنابية- سلسلة من المآسي والحرمان والذل، عاشت طفولة بائسة بعد فقدان الزوج في السن مبكرة، فأساء العالم معاملتها وأذاقها ألوان العذاب، تقول العنابية متحدثة عن حياتها: "تذكرت يوم حاولت أن تخنق نفسها بحبل صنعتها من قميصها، عندما انتزعوا عشيقها منها، ليرسلوا به إلى كيان، ألمني كثيرا... رأيت أن ارتماءه في أحضاني له معنى خاص" (وطار، 1982، صفحة 116). خاتم الهزينة الذي يطمع في حياها وهي التي سعت للحضن الدافئ الرحيم، والكلمة الحلوة التي كان لها مفعول السحر في نفسها، وهكذا ألقاها الأيام الخوالي بما انطوت عليه من نكد العيش، وسوء الحال إلى سلوك الطريق

المعيب، ضاربة عرض الحائط بكل القيم والمثل الاجتماعية والأخلاقية تقول بكل عزم وثقة: "أنا أعرف ما أقول والفاهم يفهم". (وطار، 1982، صفحة 16)

على الرغم مما تتصف به هذه المرأة من حدة في الطبع، وشراسة في المواجهة، ولا مبالاة بجملة من القيم الأخلاقية والأعراف الاجتماعية، لدرجة أنّها كانت تردّد: "كل البنات في حاجة لي" (وطار، 1982، صفحة 196)، فإنّ قلبها لا زال ينبض بحب الناس، والعطف على أمثالها في البؤس والشقاء. وهذا ما أوضحته الرواية عبر بعض المواقف والأحداث التي أثبتت أنّ هذه المرأة تتحلّى بنفس طيّبة سمحة، وتتسم بالوفاء والأريحية في جل المواقف التي تتطلب منها ذلك.

✓ حياة النفوس: إذا كان سقوط "العنابية" في الرذيلة، مرهونا بالظروف الاجتماعية الصعبة التي عاشتها، وبما عانتها من ظلم وقهر واستلاب، في ظل غياب الوعي، والافتقار إلى القيم والمثل الأخلاقية والدينية، وعدم الرضوخ للضوابط الاجتماعية، فإنّ "حياة النفوس"، وهي إحدى شخصيات "وطار"، كانت ممثلة في مجرد إشارة إلى قصّة والدتها مع زوجها، وما تمخضت عنه تلك الليلة التي عانتها مع زوج والدتها وهي بسنّ الخامسة عشرة. هي مثال للحياة النمطية آنذاك وصورة واقعية لامرأة شابة مفعمة بالحياة والطّيبة تشبث بالحياة "حياة النفوس" هو لقبها الدال على شخصيتها، فتاة جزائرية تعيش مع والدتها وزوج والدتها، تكبر لتنتقل للماخور، رغم ما تملكه من جمال فتان، تأبى التعايش مع بنات الماخور لكن ما تلبث إلاّ وتصبح واحدة منهن تتسامر معهن، وتعيش أحزانهن وتتشارك همومهن لتتوحد ألامها ومعاناتها ونفوس النساء، في الماخور تألفت القلوب واتحدت مكونة حياة اجتماعية إنسانية عنيفة أحيانا وساخرة أخرى ومقهورة ذليلة مكسورة مرة، تعيش الانشطار بسبب الجسد المشتتهى هو ما أبانه النص.

7- خاتمة:

انصبت الدراسة بعامة في موضوع المرأة على كشف الخطاب الذكوري الطارح لقضية حق المرأة من جهة وإقصاءها من جهة أخرى، وتم ذكر تلك الصور النمطية التي تعمل على تهميش الأنثى، وممارسة فعل التغييب وفي حق الوجود، وأهم النتائج المتوصل إليها:

- طرح "الطاهر وطار" الوعي الاجتماعي كبديل للتجربة الإنسانية، وكحتمية يقدمها ظرف مادي معين، وأساس هذه الرواية تتمثل في تعالق الرواية بالوضع الاجتماعي للمرأة وبالتراث.
 - تمثيل المرأة بحالة متفردة وفي صورة نمطية يومية، فلم يردها في صورة المتمم للرجل، فضلا عن الجميلة الفارهة الشهوانية مثلا بالعنابية، حياة النفوس، علجية. هي تمثيلات تنزل المرأة مكانة دونية لتصبح نكرة، فهي الخادمة المطيعة لزوجها، الخاضعة لقانون المجتمع، مخلوق لإشباع الرغبة الحيوانية لذكور الماخور لتزيدهم أنانية وتجبرا، هي صورة ثابتة في مجتمعات ومتغيرة في أخرى.
 - الخطاب الروائي العربي بعامة والجزائري بخاصة أقصى هوية المرأة، إذ ثمة نظرة فحولية عمدت لإظهارها كرمز مهمش بسبب الاختلاف الجنسي، الذي يعتبر مشكلا بحد ذاته في المجتمع.
 - ضرورة إخراج المرأة من معاناتها، بإرساء قانون العدل والمساواة، والانفتاح فكريا والاهتمام بالجمال الأخلاقي لبناء امرأة حكيمة بعقل ثقافي منتج لا عقيم
- 8- الهوامش:

1. أحلام مستغانمي. (1993). *ذاكرة الجسد*. بيروت: دار الآداب.
2. أحمد رضا جوحو. (1988). *غادة أم القرى* (ط 2). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
3. إدريس بوديبة. (2007). *الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار دراسة نقدية*. الجزائر: وزارة الثقافة.
4. الطاهر وطار. (1982). *عرس بعل*. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
5. بن جمعة بوشوشة. (2003). *الرواية النسائية المغربية* (ط 1). تونس: المغاربية للنشر.
6. رشيدة بن مسعود. (2006). *جمالية السرد النسائي* (ط 1). المغرب: شركة النشر والتوزيع المدارس.
7. رياض القريشي. (2008). *النسوية قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب* (المجلد ط 1). اليمن: دار حضر موت للدراسات والنشر.

8. زهور ونيسي. (1988). *على الشاطئ الآخر* (ط 2). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
9. زهور ونيسي. (13 ماي، 1955). من الملووم؟ *مجلة البصائر*، 318.
10. عايدة أديب بامية. (1982). *تطور الأدب القصصي الجزائري (1925-1967)*. (محمد حقو، المترجمون) الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
11. هارون فرغلي. (6 فيفري، 2015). *حول مفهوم الوعي الاجتماعي Social Consciousness*. تاريخ الاسترداد 05 فيفري، 2022، من [anfasse.org: https://www.anfasse.org/2010-12-27-01-33-59/2010-12-05-18-31-21/5866-social-consciousness](https://www.anfasse.org/2010-12-27-01-33-59/2010-12-05-18-31-21/5866-social-consciousness)
12. ياسين كاتب. (1987). *نجمة* (ط 2). (محمد قويعة، المترجمون) الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.